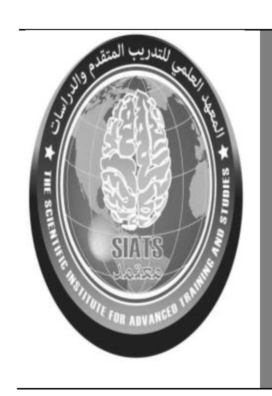


SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد4 ، العدد1، كانون الثاني، يناير 2018م.

e-ISSN: 2289-9065

COEXISTENCE IN THE LIGHT OF THE HOLY QURAN

التعايش السلمي في ضوء القرآن الكريم

د/ رشيدة عبد السلام بوخبرة

جامعة محمد الخامس أبوظبي

الإمارات العربية المتحدة

rachida.boukhibra@um5a.ac.ae

1439هـ – 2018م

ARTICLE INFO
Article history:
Received 22/10/2017
Received in revised form 911//2017
Accepted 5/12/2017
Available online 15/1/2018

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

God has ordered coexistence among each other for Muslims and made it a legitimate duty before it is a social necessity required by the nature of life for individuals and groups. He, The Almighty, urged the maintenance of dignity and the preservation of rights and forbade the abuse of sanctities and the transgression of property, as this is the basis of coexistence between different Muslim sections. Their different opinions and doctrines do not cast them outside of Islam, and they do not lose any of their rights. God, the Almighty, enjoined them to support each other and cooperate among themselves on righteousness and piety.

Our religion also recognizes the principle of peaceful coexistence with non-Muslims through the verses of the Holy Quran and Sunnah whether in hadeeths, deeds, and acceptance of both. Muslims have always adopted this principle as a custom in their countries and as their approach in others. Every member of the Islamic community is required under Islamic law to coexist with other individuals, regardless of the differences with them. The Holy Quran has paved the way for the basic principles of all peaceful coexistence forms, and encouraged tolerance and brotherhood to attain righteous succession on earth and civilization. The Qur'an has a coherent vision on the subject of peaceful coexistence among all people, with different tongues, colors, religions and creeds. Such a vision fosters security and peace within diverse communities and protects them from the rift, confrontation and clash of civilizations, which is the goal of the present study.

The study is comprised of three main parts. The first one uncovers the importance of peaceful coexistence at the level of individuals and communities. The second



topic identifies the bases of peaceful coexistence through the Holy Quran. The third section deals with the manifestations of this co-existence in the book of Allah Almighty, whether among Muslims themselves, or among themselves and others in the Muslim communities or in other societies. The research concludes with the most important results of this study, which generally agree that the Quran is a source of the means of peaceful cohabitation and compassion for humanity, a book in which property is preserved and the rights and dignity of all people are guarded.



الملخص

لقد أمر الله عز وجل المسلمين بالتعايش فيما بينهم، وجعله واجبا شرعيا قبل أن يكون ضرورة اجتماعية تتطلبها طبيعة الحياة بين الأفراد والجماعات، فحث سبحانه وتعالى على صيانة الكرامة وحفظ الحقوق، ونهى عن الاعتداء على الحرمات واستباحة الأعراض، وهو الأساس الذي يتحقق به التعايش بين فئات المسلمين المختلفة. فتباين آرائهم ومذاهبهم،لا يخرجهم من حمى الإسلام، ولا يهدر شيئا من حقوقهم التي أوجبها لهم. وقد أمرهم الله عز وجل بالتناصر والتعاون فيما بينهم على البر والتقوى.

كما أقر ديننا الحنيف مبدأ التعايش السلمي مع غير المسلمين من خلال آيات القرآن الكريم والسنة النبوية قولا وفعلا وتقريرا، وإذا كان هذا المبدأ سنة المسلمين في بلاد الإسلام، فإنه منهجهم كذلك في غيرها، فكل فرد من أفراد المجتمع الإسلامي مطالب شرعا بالتعايش مع غيره من الأفراد، بغض النظر عن أوجه اختلافه معهم، وقد وضع القرآن الكريم المرتكزات الأساسية للتعايش السلمي بكل أنواعه، ودعا إلى التسامح والتآخي لتحقيق الخلافة وبناء الحضارة. فالرؤية القرآنية متكاملة حول موضوع التعايش السلمي بين الناس أجمعين على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، وأديانهم ومذاهبهم. فهي ترعى الأمن والسلام داخل المجتمعات المتباينة الانتماءات والطوائف، وتحميها من التمزق والصدام وصراع الحضارات، وهذا ما حاولت هذه الدراسة بيانه. وقد جاءت في ثلاثة مباحث أساسية، أما المبحث الأول فكشف النقاب عن حقيقة التعايش السلمي وأهميته على مستوى الأفراد والجماعات، والمبحث الثاني حدد أسس التعايش السلمي من خلال القرآن الكريم، أما المبحث الثالث فبين مظاهر هذا التعايش في كتاب الله عز وجل، سواء فيما بين المسلمين أنفسهم، أو فيما بينهم وبين غيرهم في المجتمع الإسلامي أو في غيره من المجتمعات الأخرى، وذُيل البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة، والتي تتفق في مجموعها على أنه من القرآن الكريم تنبع سبل التعايش السلمي والرحمة للعالمين، وفي ظلاله تصان الأعراض وتحفظ الحقوق والكرامات للناس أجمعين.



مقدمة

إن الإسلام خاتم الرسالات الذي ارتضاه الله عز وجل للعالمين، يشمل أحكاما دقيقة يتفيأ ظلالها القريب منه والبعيد، لا سيما وأنها مبنية على حفظ كرامة الانسان، واحترام الحقوق، وقائمة على العدالة والمساواة والتعايش السلمي بين الناس أجمعين، قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[1].

أهمية الموضوع:

إن المتأمل في مصطلح "التعايش السلمي" يدرك أن البشرية بفآتها المتباينة تتأرجح بين السلم والحرب، ونحن في وقتنا الحاضر في أمس الحاجة للرجوع إلى القرآن الكريم لمعرفة سبل التعايش الذي يعتبر المفهوم الأوسع والأهم لبناء مجتمع سليم قائم على المودة والوئام بين أفراده، بغض النظر عن جنسهم ومعتقدهم وثقافتهم.

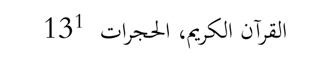
أسباب اختيار الموضوع:

أسباب كثيرة دفعتني لاختيار هذا الموضوع، من أهمها أننا وجدنا أنفسنا في مواجهة مواقف ضد الإسلام والمسلمين؛ تجلت في محاولة إظهار هذا الدين ومعتنقيه في صور مشوهة عديدة؛ من سماتها التشدد والغلو، ورفض التعايش مع الآخرين، ومن هنا كان اختياري لهذا الموضوع الذي يسعى إلى تجلية حقيقة التعايش السلمي في ديننا الحنيف. انطلاقا من المعين الصافي والمصدر الأول للتشريع، الذي أرسى من خلال آياته البينات أسس الحياة الكريمة، والتقدير الدائم للناس جميعا، من غير تمييز عنصري، أو صراع طائفي، أو غيرها من عوامل الشقاق والنزاع.

إشكالية البحث:

تتحدد مشكلة البحث بالسؤال الآتي:

ما هي الآليات التي يمكن الركون إليها في القرآن الكريم، لخلق مستلزمات التعايش السلمي بين الأفراد والمجتمعات؟ ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الآتية:


[1] القرآن الكريم، الحجرات 13



- ما مفهوم التعايش السلمي؟ وما أهميته؟
- ما هي أسس ودعائم التعايش السلمي في القرآن الكريم؟
- ما هي مظاهر التعايش السلمي وتجلياته في كتاب الله عز وجل؟

منهج البحث:

لقد سلكت في إنجاز هذا البحث المنهج التركيبي، لأن طبيعة الموضوع تقتضي ذلك، فقد انطلقت من المنهج الاستقرائي، فاستقريت الآيات الكريمة التي تتجلى لنا من خلالها أسس ومظاهر التعايش السلمي في القرآن الكريم، كما اعتمدت على المنهج التحليلي في تحليل ومناقشة القضايا العلمية التي تعرضت لها في ثنايا البحث، والمنهج المقارن للمقابلة بين الآراء وتصحيح المفاهيم كمفهوم الجهاد وغيره.

خطة البحث:

لقد انتظم عقد هذا البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

أما المبحث الأول فجعلته بعنوان حقيقة التعايش السلمي وأهميته، وقد قسمته إلى ثلاثة مطالب، بينت في أولها حقيقة التعايش اللغوية، وفي الثاني كشفت عن حقيقته الاصطلاحية، أما المطلب الثالث فعقدته لبيان أهمية التعايش السلمي للفرد والمجتمع، وخصصت المبحث الثاني لبيان أسس التعايش السلمي من خلال القرآن الكريم، وقد تضمن أربعة مطالب، الأول منها يحمل عنوان تكريم الانسان وحفظ حقوقه، والثاني عنونته بإقرار سنة الاختلاف، أما الثالث فخصصته لحرية العقيدة، والأخير أفردته للحديث عن الحوار والتسامح باعتبارهما أساسين هامين من أسس التعايش السلمي في القرآن الكريم، .وجاء المبحث الثالث بعنوان مظاهر التعايش السلمي من خلال القرآن الكريم، وذلك ضمن ثلاثة مطالب فرعية عنونت أولها بالتعايش السلمي بين المسلمين في مجتمعهم، والثاني خصصته للتعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم في المجتمع الإسلامي، أما المطلب الثالث والأخير فكشف عن حقيقة تعايش المسلمين مع غيرهم من المجتمعات الأخرى، وختمت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلاله.



المبحث الأول: حقيقة التعايش وأهميته

المطلب الأول: التعايش لغة

مصدر عاش يعيش عيشا، والعيش الحياة،"يقال عايشه بمعنى عاش معه، كقوله: عاشره. و في القرآن الكريم قوله عز وجل: {وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا}[2]، أي ملتمسا للعيش. والعيش المطعم والمشرب وما تكون به الحياة"[3].

وبالرجوع إلى الدلالة اللغوية للتعايش نجد في المعجم الوسيط: "تعايشوا: عاشوا على الألفة والمودة، ومنه التعايش السلمي... وعايشه: عاش معه"[4].

هكذا يتضح لنا أن مصطلح العيش يتمحور حول معنى الحياة والمودة والألفة، وأن التعايش في مدلوله اللغوي العام وفق ما تقتضيه صيغة التفاعل يعني أن يعيش البعض مع البعض الآخر على ذلك.

المطلب الثاني: التعايش اصطلاحا

إن التعايش في مفهومه الاصطلاحي يعني أن يكون هذا العيش المتبادل قائما على المسالمة والأمان، والمهادنة والاطمئنان، وقبول الآخر بكل مكوناته ومعتقداته، ومنحه حقوقه والحفاظ على كرامته، ولذلك غالبا ما ينعت ب"السلمي" كما هو الشأن بالنسبة لهذا الموضوع، وإن كان هذا المصطلح وليد ظروف اجتماعية وسياسية حنت فيها البشرية إلى الأمن والسلام خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، ورأت فيه البديل عن العلاقة العدائية بين الدول ذات النظم الاجتماعية المتباينة.

المطلب الثالث: أهمية التعايش للفرد والمجتمع

للتعايش أهمية كبرى في حياة الأفراد والمجتمعات، فبه تذلل الصعاب، وتيسر سبل التعاون وإحراز المنافع للفرد والمجتمع، كما أن التعايش يرسي قواعد الأمن والاستقرار في المجتمعات، فتصرف جهود أصحابها إلى العمل المثمر والإنتاج المتنوع، لبناء المجتمع والمساهمة في تقدمه وازدهاره، فما من حضارة أقامها الإنسان إلا وكان أساسها الأمن والاستقرار على جميع

---

[2] القرآن الكريم، النبأ: 11

[3] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة السادسة سنة 1417هـ/1997م، مادة عيش 6/ 336

[4] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة للنشر والتوزيع. 6/ 639



المستويات، وفي مختلف المجالات، وهذا ما دعا إليه القرآن الكريم في قوله تعالى:{ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }[5] لدعم التواصل والوئام بين الناس جميعا، وإبعادهم عن التنافر والشقاق الذي يهدر الجهود، ويهوي بالفرد والمجتمع في مزالق التشتت والضياع.

المبحث الثاني:أسس التعايش السلمي من خلال القرآن الكريم

إن التعايش السلمي بين الناس في القرآن الكريم يقوم على أسس راسخة، وقيم عظيمة، تهدف إلى حفظ الأمن والاستقرار للأفراد والمجتمعات، وفق ضوابط قائمة على البر والتقوى، والرحمة والإحسان، ومن أهم هذه الأسس ما يلي:

المطلب الأول: تكريم الإنسان وحفظ حقوقه

خص الله عزَّ وجل الإنسان بالتكريم والتفضيل على سائر خلقه، فقد خلقه سبحانه وتعالى بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته؛ إكرامًا واحترامًا، قال تعالى: "ولَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً"[6]. يقول الطاهر بن عاشور عند تفسيره لهذه الآية: "وَأَمَّا التَّفْضِيلُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَالْمُرَادُ بِهِ التَّفْضِيلُ الْمُشَاهَدُ لِأَنَّهُ؛ مَوْضِعُ الِامْتِنَانِ؛ وَذَلِكَ الَّذِي جِمَاعُهُ تَمْكِينُ الْإِنْسَانِ مِنَ التَّسَلُّطِ عَلَى جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ الْأَرْضِيَّةِ بِرَأْيِهِ وَحِيلَتِهِ، وَكَفَى بِذَلِكَ تَفْضِيلًا عَلَى الْبَقِيَّةِ. والْفَرْقُ بَيْنَ التَّفْضِيلِ وَالتَّكْرِيمِ بِالْعُمُومِ وَالْخُصُوصِ فَالتَّكْرِيمُ مَنْظُورٌ فِيهِ إِلَى تَكْرِيمِهِ فِي ذَاتِهِ، وَالتَّفْضِيلُ مَنْظُورٌ فِيهِ إِلَى تَشْرِيفِهِ فَوْقَ غَيْرِهِ، عَلَى أَنَّهُ فَضَّلَهُ بِالْعَقْلِ الَّذِي بِهِ استصلاح شؤونه، وَدَفْعُ الْأَضْرَارِ عَنْهُ وَبِأَنْوَاعِ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ، هَذَا هُوَ التَّفْضِيلُ الْمُرَادُ"[7].

إن الإنسان في الإسلام مكرم لكونه إنسانا دون مراعاة لأصله أو معتقده، أو غيرها من المحددات التي تنازعت البشرية بسببها، حتى أُهدرت الدماء وانهارت المجتمعات، وبناء على ذلك يرفض الإسلام كل أشكال الاعتداء على الإنسان، حتى إنه جعل قتل النفس الواحدة كقتل الناس جميعا، ويرفض القرآن الكريم كل أشكال التمييز العنصري، ويذكر البشرية بوشيجتي الربوبية والرحم اللتين ينتمون إليهما لربط العلاقات بين الناس، وحسن معاملة بعضهم لبعض. قال تعالى: { يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ

---

[5] القرآن الكريم، الحجرات13

[6] القرآن الكريم، الإسراء 70

[7] اين عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس سنة 1984م، 15/ 166



الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[8]، جاء في تفسير فخر الدين الرازي قوله: "فَالْفَائِدَةُ فِي ذِكْرِ هَذَا الْمَعْنَى أَنْ يَصِيرَ ذَلِكَ سَبَبًا لِزِيَادَةِ شَفَقَةِ الْخَلْقِ بَعْضِهِمْ عَلَى الْبَعْضِ"[9].

ومن تكريم الإنسان في الإسلام ضمان حقوقه وترتيبه على الإخلال بها حدودا وتعزيرات كما هو مبين في كتب الفقه والسياسة الشرعية، فالتعايش السلمي لا يقوم إلا على التساوي بين الناس، لأن التمييز العنصري أو التعالى على المخالف يؤدي إلى الصراع والاضطراب في المجتمعات البشرية، والتاريخ شاهد على توالي الصراعات والحروب التي كان سببها الصراع العرقي أو المذهبي أو غيره داخل المجتمع الواحد، وبين المجتمعات المختلفة.

المطلب الثاني: إقرار سنة الاختلاف

إن من آيات الله عز و جل أن جعل الناس مختلفين في ألسنتهم وألوانهم، وتصوراتهم ومعتقداتهم، قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ}[10] ، وقال أيضا: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[11] ، ونفس المعنى نجده في قوله تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}[12].

إن الآيات الكريمة تدل في مجملها على أن الاختلاف بين الناس من سنن الربوبية في الكون، ولذلك خلقهم الله عزوجل، إلا ان هذا الاختلاف لا يجوز أن يكون سببا في التنافر والشقاق، بل ينبغي أن يكون محفزا على التعارف والتعاون على البر والمصالح المشتركة لإقامة العمران الإنساني. يقول الدكتور عباس الجيراري في هذا الصدد: "إن السر في ترك الاختلاف يرجع إلى أن الإسلام يدعو إلى الإيمان، الذي يقوم على النظر والتأمل والاختيار، ويرجع كذلك إلى أن الله تبارك وتعالى أتاح الفرصة لمن يومن ويعمل الصالحات كي ينال حسن الثواب والجزاء، بالقياس إلى من لايؤمن ولا يعمل الصالحات

---

[8] القرآن الكريم، النساء: 1

[9] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة 1420هـ، 9/ 477

[10] القرآن الكريم، الروم: 22

[11] القرآن الكريم، هود: 118، 119

[12] القرآن الكريم، المائدة: 48



وما ينتظره من وعيد؛ لأن الإسلام حين يبيح الحرية الدينية، يعتبر أن النظر في الخلاف حولها متروك لله الذي يقول: {فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ[13]}"[14].

ج- حرية العقيدة

في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى حرية الاعتقاد، وأن الله تعالى يحب أن يعبد طوعا لا كرها، منها قوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[15]، قال ابن كثير : "أَيْ لَا تُكْرِهُوا أَحَدًا عَلَى الدُّخُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ بَيِّنٌ وَاضِحٌ، جَلِيٌّ دَلَائِلُهُ وَبَرَاهِينُهُ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُكْرَهَ أَحَدٌ عَلَى الدُّخُولِ فِيهِ، بَلْ مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، وَشَرَحَ صَدْرَهُ، وَنَوَّرَ بَصِيرَتَهُ، دَخَلَ فِيهِ عَلَى بَيِّنَةٍ، وَمَنْ أَعْمَى اللَّهُ قَلْبَهُ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، فَإِنَّهُ لَا يُفِيدُهُ الدُّخُولُ فِي الدِّينِ مُكْرَهًا مَقْسُورًا"[16] ، وقوله عز وجل: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[17].كما بين القرآن الكريم أن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم هي البلاغ للرسالة الإلهية، قال تعالى: { وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}[18]، وقال أيضا: { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ}[19]، وتتجلى حرية العقيدة في القرآن الكريم من خلال الآيات البينات التي تدعو إلى التدبر والتفكر في الكون، لسلوك الطريق الأمثل الموصل إلى العقيدة الصحيحة، وإلى السعادة الأبدية، منها قوله تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[20]، وقوله عز وجل: {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ}[21]، إلا أن الفهم الخاطئ لحقيقة الجهاد أفرز صراعات دامية أزهقت أرواح الأبرياء والمستضعفين، وحالت دون التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم، لذلك كانت الحاجة داعية لتصحيح مفهومه، ومعالجة شيئ من المفاهيم المنحرفة التي

---

13 القرآن الكريم، البقرة: 113

14 عباس الجيراري، مفهوم التعايش السلمي في الاسلام،منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة،سنة 1417هـ/1996م، ص 19

15 القرآن الكريم، البقرة:256

16 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، سنة 1420هـ/1999م، 1/ 521

17 القرآن الكريم، يونس: 99

18 القرآن الكريم، الكهف: 29

19 القرآن الكريم، الأنعام: 107

20 القرآن الكريم، فصلت: 53

21 القرآن الكريم، الذاريات: 20 - 22



ألصقت به، علما بأن الإسلام دين السلام، يهدف إلى نشر الأمن والاطمئنان، والقضاء على الخوف والقلق في نفسية الفرد والجماعة، ولذلك حرم التعدي بكل أنواعه، وشدد العقوبة عليه، واعتبره تعديا على الناس جميعا، فالجهاد في اللغة مصدر الفعل الرباعي "جاهد" على وزن فعال، بمعنى المفاعلة من طرفين، مثل "الجدال" مصدر "جادل". وأما الفعل الثلاثي للكلمة فهو "جهد" ويعني لغة بذل الجُهد، أي الوسع والطاقة، أو تحمل الجَهد، أي المشقة للوصول إلى غاية. وقيل إن الجهد بضم الجيم والجهد بفتحها لغتان [22]، ومنه قول الله تعالى: "جهد أيمانهم"[23]، أي بالغوا في اليمين واجتهدوا فيها. ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "فغطني حتى بلغ مني الجهد"[24].

استعمل القرآن الكريم مفردة الجهاد بمعناها اللغوي في مواضع عديدة منها قوله تعالى: "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين"[25]، وقوله عز وجل: "وجاهدوا في الله حق جهاده"[26] ، فالمعنى اللغوي للجهاد عام يعني الصبر وتحمل الأعباء للوصول إلى غاية معينة، والجهاد في الإسلام كما يقول الراغب الأصفهاني[27] على ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس. وقبل الحديث عن جهاد العدو الظاهر الذي تحكمه ضوابط شرعية دقيقة لا يجوز إلا في ضوئها، تجدر الإشارة إلى أن جهاد النفس وتزكيتها، واتخاذ الشيطان عدوا لها مقدم على ذلك كله، لأن الإنسان ما لم يجاهد نفسه أولا لتفعل ما أمرت به وتترك ما نهيت عنه، لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج. لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله"[28]، والمقصود بجهادها، بذل الوسع والطاقة لحملها على امتثال أوامر الله عز وجل واجتناب نواهيه، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الكيس

---

[22] – الخليل الفراهيدي، العين، دار الرشيد للنشر، سنة 1400هـ/1980م، ج 3/ص386

– لسان العرب لابن منظور ج 3/ ص 138

[23] القرآن الكريم، المائدة 53

[24] رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدأ الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم3، ومسلم في صحيحه كتاب الايمان باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم 252.

[25] القرآن الكريم، العنكبوت 69

[26] القرآن الكريم، الحج 78

[27] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، سنة 1412هـ، ص 101

[28] رواه أحمد في مسنده من حديث فضالة بن عبيد رقم 23966.



من دان نفسه وعمل لما بعد الموت"[29]. وقد بين القرآن الكريم حقيقة النفس الإنسانية، وأشار في آيات عديدة إلى أن الالتزام بمنهج الله تعالى ثقيل عليها، فقال في شأن الصلاة: "وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين" [30]، ووصفها بالحب الشديد للمال فقال: "وأحضرت الأنفس الشح"[31]، وقال أيضا: "وتحبون المال حبا جما"[32]، ووصف الإنسان بقوله: "وكان الإنسان عجولا"[33] ، وبقوله: "إنه كان ظلوما جهولا"[34] .

إن النفس الإنسانية قابلة للفجور والتقوى، لذلك وجب على الإنسان أن يبذل قصارى جهده لتهذيبها وتزكيتها، فهي تحتاج إلى رياضة وتربية ومحاسبة؛ لتؤتي أكلها وتطمئن لتعاليم الشريعة وأحكامها. قال تعالى: "ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها"[35]، وهو جهاد كبير في ذات الله تعالى، قال عز وجل: "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين" [36]، فحقيقة الجهاد في الله أن يسخر المسلم جميع ما آتاه الله من القوى والطاقات في سبيل حمل نفسه على طاعة الله وحسن عبادته، ومن هنا ورد في الحديث الشريف تسمية الحج بالجهاد، لما فيه من بذل الجهد وتحمل المشقة، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: "نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال صلى الله عليه وسلم: لكن أفضل الجهاد حج مبرور[37]"، كما أشار القرآن الكريم إلى أن السعي في طلب العلم يعتبر ضربا من الجهاد فقال تعالى: "فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ"[38]، وهو ما أكده النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع"[39]. كما أن رعاية الوالدين، وخصوصا في حالة الكبر تعد نوعا من الجهاد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال:"جاء رجل إلى نبي الله يستأذنه في الجهاد، فقال: أحي والداك؟ قال: نعم،

[29] رواه ابن ماجة في سننه، باب ذكر الموت والاستعداد له، رقم 4260، وأحمد في مسنده من حديث شداد بن أوس رقم17123.

[30] القرآن الكريم، البقرة 45

[31] القرآن الكريم، النساء 128

[32] القرآن الكريم، الفجر 20

[33] القرآن الكريم، الاسراء 11

[34] القرآن الكريم، الأحزاب 72

[35] القرآن الكريم، الشمس 7-8-9- 10

[36] القرآن الكريم، العنكبوت 69

[37] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، رقم 1520.

[38] القرآن الكريم، التوبة 122

[39] رواه الترمذي في سننه، باب فضل طلب العلم، رقم 2647.



قال: ففيهما فجاهد"[40]. ومن رج يضرب في الأرض ويلتمس الرزق في خباياها مبتغيا من فضل الله، إن كان خرج يسعى ليعول أبناءه أو أبويه، أو ليعف نفسه عن مسألة الناس، فهو في جهاد معتبر يتقرب به صاحبه إلى الله تعالى إذا صلحت النية

ذلك هو المعنى العام للجهاد في ديننا الحنيف، وهو أوسع دائرة من القتال. فدائرة الجهاد تتسع للقتال ولغيره من أنواع الجهاد الأخرى، والمؤمنون مطالبون بأن يجاهدوا في الله حق جهاده. ومن الدلائل أن الجهاد لا يصرف دائما للقتال أنه ذكر في آيات القرآن المكي قبل أن يشرع القتال في المدينة المنورة، كقوله تعالى: "إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ"[41]، فالآية تتحدث عن الذين هاجروا من بعد ما فتنوا، أي من بعد ما أوذوا وعذبوا، وهي تتحدث عن المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة في العهد المكي، فالجهاد هنا جهاد الصبر والاحتمال، وتبليغ معاني الإسلام بالحال والمقال؛ كما فعل الصحابة رضوان الله عليهم في الحبشة.

وذكر الله عز وجل الجهاد في سورة العنكبوت، وهي مكية فقال تعالى: "وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ"[42]، وختمت السورة بقوله تعالى: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ"[43] ، والمراد جهاد النفس والشيطان. وجاء في سورة الفرقان وهي مكية أيضا قوله تعالى: "وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا" [44]، حيث يأمر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بجهاد الكافرين بالحجة والبيان وتبليغ القرآن، ووصف جهاده هذا بقوله: "جهادا كبيرا" للدلالة على أهميته وعظيم منزلته.

سبقت الإشارة إلى أن مفهوم الجهاد في الإسلام لا ينصرف دائما للقتال، فالجهاد مفهوم واسع. فهو سمو بالنفس وتزكيتها، ودفاع عن الحق ودعوة إليه باللسان، إلا أنه قد يكون أعمالا حربية، إلا أنها حرب دفاعية لا تجبر الناس على الدين، مصداقا لقوله تعالى: "لا إكراه في الدين" [45]، لأن أصل العلاقة مع غير المسلمين هي التعايش والسلام، وقد

---

[40] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد بإذن الأبوين، رقم3004، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، رقم 2549.

[41] القرآن الكريم، النحل 110

[42] القرآن الكريم، العنكبوت 6

[43] القرآن الكريم، العنكبوت 69

[44] القرآن الكريم، الفرقان 52

[45] القرآن الكريم، البقرة 256



دعا الإسلام المسلمين إلى التسامح والتعايش المشترك، وجاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ترفض التشدد والتعصب، وتدعو المسلمين أن يتعايشوا مع بعضهم ومع الآخرين في ظل المبادئ والقيم الإنسانية. وقد أشار الطاهر بن عاشور عند تفسير قوله تعالى: "{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ" [46]، إلى أن القتال المأذون فيه هو قتال جزاء على اعتداء، إلى أن قال: "وكان هذا شرعا لأصول الدفاع عن البيضة"[47].

يرى جمهور الفقهاء أن هذا النوع من الجهاد فرض كفاية، إن لم يقم به من يكفي من الناس أثموا جميعا. فهو من فروض الكفايات في قول عامة أهل العلم، إلا أنه قد يصير فرض عين عند استنفار الإمام لفرد أو طائفة معينة، فلا يحل لهم التخلف إلا بعذر، لأن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر في قوله: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ"[48]، وهذا في كل ما يأمر به الإمام ويرى فيه مصلحة، وقال تعالى مخاطبا المؤمنين للتحريض على الجهاد في سبيل الله بطريقة العتاب على التباطئ في إجابة دعوة النفير إلى الجهاد: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ"[49] ، وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا"[50]، وقال صلى الله عليه وسلم أيضا: "الغزو غزوان، فأما من ابتغى وجه الله ، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد، فإن نومه ونبهه أجر كله"[51]. فإذا استنفر ولي الأمر فردا معينا ليقوم بمهمة عسكرية، وجبت طاعته كما تجب على الجماعة؛ إذ العلة واحدة.

وشرع هذا النوع من الجهاد في ديننا الحنيف لمنع الظلم ورد العدوان، وإنقاذ المستضعفين وإسعافهم، قال تعالى: "وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا"[52].

---

[46] القرآن الكريم، الحج 39

[47] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 17/ 313

[48] القرآن الكريم، النساء 59

[49] القرآن الكريم، التوبة 38

[50] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، رقم 2783، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، إلا لمنشد على الدوام، رقم 1353.

[51] رواه أأبو داود في سننه، باب في من يغزو يلتمس الدنيا رقم 2515، والنسائي في سننه، باب التشديد في عصيان الإمام رقم 4195.

[52] القرآن الكريم، النساء 75



هكذا نرى أن الجهاد عبارة عن قانون شرعه الله تعالى ليحمي الانسان من ظلم أخيه الإنسان، فهو حرب دفاعية تخضع لكل معايير الفضيلة، فلا يجوز فيها الإفراط في استعمال القوة إلا بقدر تحقيق الغرض، ولهذه الحرب ضوابطها الدقيقة في الحفاظ على المدنيين والضعفاء من الرجال والنساء والولدان، والمحافظة على الأشجار المثمرة والحيوانات، والمنع من إيذاء غير المقاتلين، والاحترام الشديد للمعاهدات. إلا أنه لابد من التنبيه في هذا الصدد بأن الجهاد في سبيل الله من مسائل السياسة الشرعية، وهو مرتبط بولي الأمر، فلا يجوز لأحد أن يحمل سلاحه معلنا الجهاد في سبيل الله، ويقوم

بإثارة الفتن والخروج على ولي الأمر، ثم يقوم بقتل من لا يرى رأيه، ويحكم بردتهم أو كفرهم، ويعتقد أنه يجاهد. فولي الأمر هو الذي يدعو إلى النفير ويدرب الجيش، وهذا ما أجمعت عليه الأمة، واعتبر الجهاد من أحكام الإمامة؛ لأنه

واجب خطير لابد أن يقوم على اجتماع الكلمة، وأن يكون على يد القائد الذي يتمتع بالسلطة النافذة، بحيث تنقاد له الجموع، وتستجيب له الجيوش، وهذا كله لايمكن وجوده إلا بولي الأمر، فلا يعلم خلاف بين أهل العلم في أن سياسة الجهاد إعلانا وتسييرا وإنهاء ونظرا لمآله وآثاره، كل ذلك داخل في أحكام الإمامة، لا يجوز لأحد من المسلمين أن يستقل بها دون إذن الإمام ومشورته.

وقد بين العلماء أن المطلوب الذي يؤدى به فرض الكفاية في عصرنا أن يكون للمسلمين جيش قوي مرهوب الجانب، ومسلح بأحدث الأسلحة، وعلى أعلى مستوى من التدريب، فينشر قواته في كل الثغور البرية والبحرية، بحيث لا يترك نقطة يخشى منها دون أن يهيئ لها أسباب الحماية والمنعة. فإعداد القوة الرادعة أمر الله تعالى به الأمة جميعا في قوله سبحانه: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ"[53] ، وهذا أمر تتفق عليه كل دول العالم اليوم.

هكذا نخلص إلى أن كلمة الجهاد تشمل أنواعا كثيرة من السعي وبذل الجهد، فهي تبدأ من جهاد النفس وهواها، ومقاومة الشر بداخلها، وتستمر مع السعي الدؤوب لإقامة الحق وخدمة الوطن، والكفاح ضد الظلم والعدوان، لذلك على المسلمين أن يخلصوا في تعليم أبنائهم، وتنشئتهم على حب الوطن والاعتزاز به، والعمل على الارتقاء به علميا وحضاريا، وكذلك العمل على تنمية روح العمل الجماعي وتجنب العشوائية في الأعمال، فهذا كله يعد ألوانا مختلفة من

---

[53] القرآن الكريم، الأنفال 6



الجهاد، والذي لا يقتصر على جهاد الأعداء في الحروب. أما هذا الأخير فيرتبط بفقه السياسة الشرعية، إذ إن الركن الأساس لمشروعيته أن يصدر الأمر به من ولي الأمر وفق تقدير وتوقيت محددين، وليس أمر السلم والحرب بيد غيره، لئلا يتحول الأمر إلى عصابات إجرام وفوضى اجتماعية، وفتن داخلية وخارجية.

المطلب الرابع:الحوار والتسامح

إن الحوار مع المخالف، سواء من المسلمين أو غيرهم، أساس من أسس التعايش بين الأفراد والجماعات؛ لأننا بينا أن الله تعالى كرم بني آدم على كثير ممن خلق تفضيلا، وجعل العقل مناط التكليف وأصله، وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين؛ يبينون رسالات الله عز وجل ويدعون إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادلون بالتي هي أحسن، وأشرنا إلى أن حرية العقيدة أساس من أسس التعايش السلمي؛ لأن ديننا الحنيف يرفض الإكراه لنشر تعاليمه السمحة، فالحوار مبدأ راسخ في القرآن الكريم؛ يتجلى من خلال الآيات العديدة المكية منها والمدنية ،التي تدل بمنطوقها ومفهومها على أنه الوسيلة الناجعة لإيصال الحقيقة والتواصل بين الناس بمختلف مللهم ونحلهم، وترشدنا إلى أهميته في حياة الناس، وتعلمنا حسن الاستماع إلى الآخرين، كما شمل القرآن الكريم آيات كثيرة تخاطب العقل البشري وتدعوه إلى التفكر والتدبر بمختلف أنواعه.

بالنظر في آيات القرآن الكريم نلاحظ تنوع الصور والمواضيع التي تم حولها الحوار؛ فهناك آيات تحدثت عن الحوار الذي وقع قبل الإسلام للتدبر والاعتبار؛ من ذلك ما ذكر من حوار بين الباري عز وجل وملائكته الكرام في قصة خلق الإنسان، وسؤال الملائكة لرب العالمين، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[54]، فاستجابت الملائكة لأمر الله تعالى كما قال عز من قائل: {فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ31 }[55]، وقد سأل الله تعالى إبليس عن سبب عصيانه فقال سبحانه:{قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (32) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ}[56]، كما تحاور سيدنا نوح وهود

---

[54] القرآن الكريم، البقرة: 30

[55] القرآن الكريم، الحجر: 30، 31

[56] القرآن الكريم، الحجر: 32، 33



وإبراهيم وشعيب وموسى عليهم السلام مع أقوامهم، وقص علينا القرآن الكريم محاوراتهم، وجاء في القرآن الكريم حوار جرى بين رجلين أنعم الله تعالى على أحدهما بجنتين، آية في الجمال وتنوع الثمار، فسولت له نفسه فاغتر بما عنده، وأنكر الإيمان والدار الآخرة، فكان صاحبه المؤمن يحاوره بأدب، وينصحه بلطف، قال سبحانه وتعالى: {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا }[57]، وفي نهاية القصة ندم الرجل على ما اقترف، قال تعالى مخبرا عنه: {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا}[58]، ونتعلم من هذه القصة أدب الحوار واستخدام اللين مع الآخرين.

كم نجد في القرآن الكريم نماذج كثيرة من حوار المعاصرين لنزول الوحي من مشركين وغيرهم. وقد تنوعت أساليب هذه الأنواع المتباينة من الحوار بين الأسلوب الوصفي التصويري، الذي يلفت النظر إلى الكون الفسيح وبديع صنعه، والأسلوب الحجاجي الذي يرد على المنكرين والجاحدين للحقيقة بالبراهين الساطعة والحجج الدامغة. كما بين القرآن الكريم أن من أسباب نجاح الحوار الهادف الابتعاد عن الجدال بالباطل؛ لأنه يستخدم لقلب الحقيقة من غير هدى ولا دليل، ولا حجة ولا برهان، قال تعالى{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ }[59]، فالحوار الهادف ينجح بالحكمة، وباستخدام أفضل السبل للإقناع، فالحوار بالتي هي أحسن يستلزم احترام الآخر، والصبر عليه، وعدم مقاطعته أثناء حديثه، أو بيان رأيه، كما يستلزم حسن الظن به، والحرص على عدم تحويل الحوار إلى جدل وخصام، فمنهجية الحوار في القرآن الكريم تعلمنا أنه يكون من أجل تصحيح الأفكار، والوصول إلى النتائج الطيبة التي تخدم مصالح الناس، وتسهم في تقدم المجتمع، فبالحوار الهادئ تزداد الأسرة تماسكا، ويتفاهم الأصدقاء مع بعضهم، وبالحوار ننجح في الوصول إلى التعايش بين أفراد المجتمع الواحد، وبين المجتمعات الأخرى مهما تباينت مللها ونحلها، ونحقق معاني القيم الإنسانية والحضارية، مصداقا لقوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}[60].

---

[57] القرآن الكريم، الكهف: 37

[58] القرآن الكريم، الكهف: 42

[59] القرآن الكريم، الحج: 3

[60] القرآن الكريم، آل عمران: 110



لا يمكن للحوار أن يؤتي أكله إذا لم يصاحبه نوع من التسامح ولين الجانب مع المسلم وغيره، لأن التسامح من قيم الإسلام الكبرى التي تميزت بها تعاليم ديننا الحنيف في جميع جوانبه الظاهرة والباطنة، والفردية والجماعية. وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»[61]، السمحة في اللغة تعني اليسر

والسهولة، قال الزبيدي: "الحنيفية السمحة هي الملة التي ما فيها ضيق ولا شدة"[62]، وقال ابن حجر العسقلاني عند شرحه لهذا الحديث:"الْحَنِيفِيَّةُ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ، وَالْحَنِيفُ فِي اللُّغَةِ مَنْ كَانَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وَسُمِّيَ إِبْرَاهِيمُ حَنِيفًا لِمَيْلِهِ عَنِ الْبَاطِلِ إِلَى الْحَقِّ لِأَنَّ أَصْلَ الْحَنَفِ الْمَيْلُ، وَالسَّمْحَةُ السَّهْلَةُ أَيْ أَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى السُّهُولَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّة أبيكم إِبْرَاهِيم}[63] "[64]. وقد ذكرت الحنيفية في القرآن الكريم في كثير من الآيات الكريمة منها قوله عز وجل: {وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُو}[65]. ووصف الحنيفية بالسمحة؛ وهي من السماح بمعنى اليسر والسهولة في جميع المعاملات؛ لبيان أن المسلم يطلب الحق ويدعو إليه، ولا يميل عنه إلى غيره من التيارات والاتجاهات الباطلة، لكنه يوغل فيه برفق، ويلتزم السهولة المحمودة فيما يظن الناس التشديد فيه، ويتعامل مع المخالف من المسلمين أوغيرهم برحابة صدر تفسح المجال للتعبير عن الآراء دون إكراه أو إجبار.

ومعلوم أن لفظ التسامح لم يرد صريحا في القرآن الكريم إلا أن الدعوة إليه تكررت في ثنايا آيات عديدة بألفاظ مختلفة كقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}[66]، وعبر عن التسامح بالعفو في قوله عز وجل: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَن

---

[61] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدين ويسر، وقول النبي صلى الله عليه وسلم أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة.

[62] مرتضى الزبيدي،تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية للنشر، مادة سمح 6/ 485

[63] القرآن الكريم، الحج 78

[64] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، دار الفكر، بيروت، سنة 1416هـ/1996م، 1/ 94

[65] القرآن الكريم، البقرة: 135، 136

[66] القرآن الكريم، النحل: 125



الْجَاهِلِينَ}[67]، وإن كان العفو يمثل درجة أعلى من التسامح، جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية ما نصه: "عن أبي الزُّبَيْرِ: خُذِ الْعَفْوَ، قَالَ: مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ، وَاللَّهِ لَآخُذَنَّهُ مِنْهُمْ مَا صَحِبْتُهُمْ، وَهَذَا أَشْهَرُ الْأَقْوَالِ، وَيَشْهَدُ لَهُ مَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ،

وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ جَمِيعًا: حَدَّثَنَا يُونُسُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ هُوَ ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ أُمَيٍّ قَالَ: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟» قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ"[68]. إلا أنه لابد من الإشارة

إلى أن التسامح في الإسلام الذي يعد أساسا وركنا أصيلا من أسس التعايش السلمي في المجتمع الإسلامي، وبين هذا المجتمع وغيره من المجتمعات الأخرى، لا ينبغي أن ينظر إليه من جانبه الاجتماعي فحسب، وتهمل الجوانب الأخرى، "فكثيرا ما تستخدم هذه الكلمة في المسائل الاجتماعية، حتى إنها توحي بأنها من مفرداتها، أو من مصطلحاتها، إلاأنه من المصطلحات ذات المعنى العام والشامل، إذ لا يقتصر على الجانب الاجتماعي فحسب، إنما يتعداه إلى الجانب الاقتصادي والسياسي، وله علاقة عامة وشاملة في كل جوانب العلم والمعرفة، وله دور في مختلف أبعاد الحياة"[69].

لا بد من التأكيد على أنَّ التسامح من تعاليم ديننا السمحة المعتدلة، بل هو ممّا يدعو إليه ويرتب عليه وعدا وجزاء، فهو قاعدة راسخة، وفضيلة أخلاقية، وضرورة بشرية، وسبيل لضبط الاختلافات وإدارتها إدارة صحيحة هادفة، لا سيما وأن رسالة الإسلام عالمية تتجه بمبادئها السمحة وتعاليمها المعتدلة للناس كافة، فهي تأمر بالعدل والسماحة، وتنهى عن الظلم والعنف، وتُرسي دعائم السلام في الأرض، وتدعو إلى التعايش الإيجابي بين البشر جميعاً في جوٍّ من الإخاء الإنسانيّ والتسامح بين كل الناس بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم،وأوطانهم.

المبحث الثالث: مظاهر التعايش السلمي من خلال القرآن الكريم

إن ما توصلنا إليه من نتائج من خلال البحث في أسس التعايش السلمي في القرآن الكريم يبين لنا أن المسلمين يملكون آليات التواصل والتعايش السلمي والتعاون على البر والإصلاح في الأرض، سواء على المستوى الداخلي بين المسلمين

[67] القرآن الكريم، الأعراف: 199

[68] ابن كثير، تفسير ابن كثير 3/ 380

[69] إصدارات الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف، التسامح من ملامح الوسطية في الإسلام ص 25



أنفسهم، أوبينهم وبين غيرهم من الأقليات الدينية في المجتمع المسلم، أوعلى المستوى الخارجي بين المسلمين وغيرهم من المجتمعات الأخرى المخالفة في الدين والأعراف وغيرها، وهو ما سنتعرف عليه من خلال النقاط التالية:

المطلب الأول: التعايش بين المسلمين في مجتمعهم

إن العلاقة التي تربط المسلمين فيما بينهم هي علاقة الأخوة المبنية على المودة والرحمة والنفس الواحدة، قال تعالى: "{وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ}[70]، جاء في البحر المديد ما نصه: "وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ"، ولا يعيب بعضكم بعضاً بالطعن في نسبه أو دينه، واللمز: الطعن والضرب باللسان، والمؤمنون كنفس واحدة، فإذا عاب المؤمنُ المؤمنَ فقد عاب نفسه"[71]. فهم

إخوة في الدين يؤيد بعضهم بعضا، ويسانده وينصره ظالما أو مظلوما، فإن كان مظلوما أخذ له حقه، وإن كان ظالما رده عن ظلمه، ولذلك قال تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }[72]، لا ينبغي أن تكون بينهم شحناء ولا بغضاء، ولذلك قال ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: "تَعْلِيلٌ لِإِقَامَةِ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا اسْتَشْرَى الْحَالُ بَيْنَهُمْ، فَالْجُمْلَةُ مَوْقِعُهَا مَوْقِعُ الْعِلَّةِ، وَقَدْ بُنِيَ هَذَا التَّعْلِيلُ عَلَى اعْتِبَارِ حَالِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ كَحَالِ الْإِخْوَةِ. وَجِيءَ بِصِيغَةِ الْقَصْرِ الْمُفِيدَةِ لِحَصْرِ حَالِهِمْ فِي حَالِ الْإِخْوَةِ مُبَالَغَةً فِي تَقْرِيرِ هَذَا الْحُكْمِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَهُوَ قَصْرٌ ادِّعَائِيٌّ أَوْ هُوَ قَصْرٌ إِضَافِيٌّ لِلرَّدِّ عَلَى أَصْحَابِ الْحَالَةِ الْمَفْرُوضَةِ الَّذِينَ يَبْغُونَ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَخْبَرَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ إِخْوَةٌ مَجَازًا عَلَى وَجْهِ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ زِيَادَةً لِتَقْرِيرِ مَعْنَى الْأُخُوَّةِ بَيْنَهُمْ حَتَّى لَا يَحِقَّ أَنْ يُقْرَنَ بِحَرْفِ التَّشْبِيهِ الْمُشْعِرِ بِضَعْفِ صِفَتِهِمْ عَنْ حَقِيقَةِ الْأُخُوَّةِ. وَهَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا دَلَالَةٌ قَوِيَّةٌ عَلَى تَقَرُّرِ وُجُوبِ الْأُخُوَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لِأَنَّ شَأْنَ إِنَّمَا أَنْ تَجِيءَ لِخَبَرٍ لَا يَجْهَلُهُ الْمُخَاطَبُ وَلَا يَدْفَعُ صِحَّتَهُ أَوْ لِمَا يَنْزِلُ مَنْزِلَةَ ذَلِكَ"[73]. وهذه الأخوة الدينية ترنو على أخوة الدم والنسب، فيصبح خلق الإيثار ديدن الأخ تجاه أخيه يوثره على نفسه، ويخصه بما هو أحوج إليه منه، وهو ما أثنى به الله عز وجل على صحابته الكرام الذين فقهوا حقيقة الأخوة الدينية، فقال عز من قائل:

---

[70] القرآن الكريم، الحجرات: 11

[71] ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير الكتاب المجيد، طبعة ار الكتب العلمية، ط2، 1423هـ-2002م، 5/ 427

[72] الحجرات: 10

[73] ابن عاشور، التحرير والتنوير 26/ 243



{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[74]، وهو ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[75].

ومن مظاهر التعايش السلمي في المجتمع الإسلامي ما يدعو إليه الإسلام من التعاون والتكافل بين أعضائه، والتوازن بين الحقوق والواجبات في الأحكام التشريعية. فشريعتنا الغراء تلزم المسلمين أن يَسُود بينهم التعاون والتكافل والتآزر في المشاعر والأحاسيس، فضلاً عن التكافل في الحاجات والمادِّيات، ومن ثَمَّ كانوا بهذا الدين كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضًا، فالتكافل الاجتماعي في الإسلام مظهر من مظاهر التعايش السلمي بين المسلمين، وهو ليس مقصورًا على النفع المادِّي، -وإن كان ذلك ركنًا أساسيًّا فيه - بل يتجاوزه إلى جميع حاجات المجتمع، أفرادًا وجماعات؛ مادِّيَّةً كانت تلك الحاجات أو معنوية، يقول الدكتور فاروق حمادة: "إن الخلق عيال الله؛ فهو الذي يرزقهم؛ فمن كان ناصحا للخلق، ساعيا في منافعهم، ميسرا لحاجاتهم، ساهرا على راحتهم، كان قريبا من الله، محبوبا عنده، مثالا يحتذى، وإماما يقتدى، فإذا كثر هذا الصنف في الناس فقد ظهر مجتمع الجسد الواحد الذي تتساند فيه وتتعاضد جميع أطرافه"[76].

وتعاليم الإسلام وأحكامه من عبادات ومعاملات كلها تؤكِّد التكافل بمفهومه الشامل بين المسلمين؛ ولذلك نجد المجتمع الإسلامي يرفض الأثرة والفردية، ويحرص على الأخوة الصادقة، والعطاء الدائم، والتعاون على البِرّ والتقوى، لأن كل فرد في المجتمع المسلم يعد لبنة في بناء المجتمع كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو يشعر بمسؤوليته في هذا البناء، وبالأمانة التي حمله إياها رب العالمين ورتب على الوفاء بها وعدا وفلاحا، وعلى الإخلال بمتطلباتها وعيدا وخسرانا، قال تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ[77]، وقال أيضا: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا

---

[74] القرآن الكريم، الحشر: 9

[75] رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم 2586.

[76] الدكتور فاروق حمادة، بصائر وأفكار، الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدةط1/ سنة 1434هـ، ص 8

[77] القرآن الكريم، التوبة: 105



وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}[78]، فالمسلم حينما يشعر بالمسؤولية والأمانة الملقاة على عاتقه، يكون نافعا لنفسه ومجتمعه، وباذلا كل ما يملكه من جهد في ميدانه ومجال تخصصه، كل ذلك برفق ولين جانب، وتعايش دائم بين أفراد مجتمعه، سواء الصغير أوالكبير، أوالغني أوالفقير.

المطلب الثاني: التعايش بين المسلمين وغيرهم في المجتمع الإسلامي

إن القرآن الكريم وضع قواعد متينة للتعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم لما بين أن الناس جميعاً خلقوا من نفس واحدة، وأن الإنسان مكرم لإنسانيته دون النظر إلى دينه، أو لونه، أو جنسه، قال تعالى: {ولقد كرَّمنا بني آدم}[79]، وما اختلاف البشرية في ألوانها، وأجناسها، ولغاتها، إلا آية من الآيات الدالة على عظيم قدرة الخالق سبحانه وتعالى، قال عز وجل: {ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالِمين}[80]،

والإسلام يعترف بالتسامح الديني الذي يتيسر معه التعايش السلمي بين أفراد المجتمع، فيكفل لغير المسلمين حقوقهم في حفظ كرامتهم، وحرية ممارسة عقائدهم، واحترام مقدساتهم، بالإضافة إلى حق اندماجهم في المجتمع يمارسون حياتهم ومعاملاتهم بحرية دون حجر أو تقييد. فقد كانت لهم الحرية التامة في التنقل والحركة وممارسة أي نوع من أنواع التجارة والنشاطات الاجتماعية المختلفة.

إن مما يساعد على التعايش السلمي في المجتمع الإسلامي، قيام أواصره على مبدإ العدل ونبذ الظلم وإن كان ذلك مع المخالف في الدين. علما بأن العدل دأب جميع الأنبياء والمرسلين، وبه يسود الأمن والسلام، وتتلاقح الأفكار والثقافات، وتبنى الدول والحضارات. فالعدالة في الإسلام تقتضي الإنصاف، وقول الحق ولو على نفس الإنسان أو أهله، وهي واجبة في كل حين وعلى كل حال، مصداقا لقوله عز وجل: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى }[81]. كما أن النهي عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، يجعل العلاقة متينة بين المسلمين وغيرهم،

[78] القرآن الكريم، الأحزاب: 72

[79] القرآن الكريم، الإسراء 70

[80] القرآن الكريم، الروم 22

[81] القرآن الكريم، المائدة: 8



كما تظهر لنا مظاهر التعايش السلمي بين المسلمين وأهل الكتاب من خلال إباحة مصاهرتهم، وأكل طعامهم، إذ قال تعالى: {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ}[82]. ويطلق الإسلام على أهل الكتاب المنضوين تحت لواء المجتمع الإسلامي أهل الذمة، أي أهل العهد والأمان الذي التزم به المسلمون تجاههم، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على حفظ هذا العهد بقوله: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا"[83]، وقال أيضا: " ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة"[84].

وقد بين عليه الصلاة والسلام للعالمين بسنته العملية كيف يكون التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم في بلاد الإسلام؛ ذلك أنه لما هاجر إلى المدينة المنورة، وجد فيها أتباعه من المسلمين، إضافة إلى بعض المشركين العرب، وقبائل يهودية، فأقام حلفاً مبنيّاً على التكافؤ والعدالة بين المسلمين واليهود، فلم يطرد اليهود من المدينة، وإنما اعترف بدينهم، وترك

لهم حرية ممارسة شعائرهم، ولم يتعرض لها بإهانة أو احتقار، بل كان يدعوهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وعندما حارب النبي صلى الله عليه وسلم اليهود، لم يحاربهم بسبب الاختلاف معهم في الدين، وإنما كان سبب الحرب معهم هو نقضهم للمعاهدات التي كانت بينهم وبين المسلمين، إضافة إلى سعيهم الدائم لتأليب العرب والمشركين ضد النبي صلى الله عليه وسلم ودعوة الإسلام، فالحرب كانت دفاعية وقائية بالدرجة الأولى، ولما توسعت رقعة الدولة الإسلامية زمن النبي صلى الله عليه وسلم، كان هناك مجموعة كبيرة من القبائل المسيحية العربية وبخاصة في نجران، فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن أقام معهم المعاهدات التي تؤمن لهم حرية المعتقد، وممارسة الشعائر، وصون أماكن العبادة، إضافة إلى ضمان حرية الفكر والتعلم، فلقد جاء في معاهدة النبي لأهل نجران: "ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأرضهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته "[85].

---

[82] القرآن الكريم، المائدة 5

[83] رواه ابن ماجة في سننه، باب من قتل معاهدا، رقم 2686.

[84] رواه أبو داود في سننه، باب تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، رقم 3052.

[85] ابن هشام، السيرة النبوية، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى سنة 1375هـ/1955م، 2/ 573- 574



فالأقليات الدينية في المجتمع الإسلامي آمنون مطمئنون، يتمتعون بكامل حقوق ما يعرف في عصرنا الحالي بالمواطنة، بل إن التاريخ الإسلامي يشهد على توليهم المناصب العليا في الدولة يسهمون في بناء المجتمع وتطوره، وينعمون بخيراته في ظل التعايش السلمي والتعاون المجتمعي الذي أنتج حضارة عمت أنوارها مشارق الأرض ومغاربها.

المطلب الثالث: تعايش المسلمين مع غيرهم من المجتمعات الأخرى

يتجلى تعايش المسلمين مع غيرهم من المنتمين لمجتمعات أخرى غير المجتمع الإسلامي في السلم الذي ينشده الإسلام ويدعو إليه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[86]، وقال أيضا: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[87]، فالسلم ضد الحرب، جاء في تفسير المراغي: "وإذا كان السلم هو المقصد الأول لا الحرب، أكده بقوله:(وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) أي وإن مال العدو عن جانب الحرب إلى جانب السلم ولم يعتز بقوته فاجنح لها، لأنك أولى بالسلم منهم"[88]. فالمسلم أحرص على السلم من غيره لأنه مبدأ أصيل في الإسلام الذي اشتق لفظه من السلم والأمان، ومن أسماء الله عز وجل

الحسنى "السلام" ويدعو لدار السلام بقوله: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[89]، فهي دار الأمن والطمأنينة، والراحة والسكينة. كما أن الوفاء بالعهود، ومنع العدوان، وإيثار السلم على الحرب إلا للضرورة، وإقامة العدل والإنصاف، ودفع الظلم، من القواعد الأساسية لتحقيق السلام بين الشعوب والمجتمعات، فلا يعتدي أحدٌ على حق أحدٍ، ولا يظلم أحدٌ أحدًا، فالإسلام يسعى دائما الى استقرار الأمة الاسلامية، كما يسعى الى استقرار علاقات المسلمين بالأمم الأخرى، لكن تعايش المسلمين مع غيرهم من المجتمعات الأخرى لا يعني الخضوع والاستسلام لهم في كل صغيرة وكبيرة، ولكن يعني أخذ الحق وتبادل المصالح وتنمية القواسم المشتركة التي تعود بالنفع على المسلمين وغيرهم في الميادين المختلفة؛ وذلك بالحوار البناء، وعقد الاتفاقيات والمعاهدات، والالتزام بالقيم الإنسانية التي يلتقي حولها الناس مهما اختلفت ألسنتهم وألوانهم. ولا يلجأ إلى الحرب إلا في حالات محددة وضحها الفقهاء؛ كالدفاع عن النفس والمال والعرض، واالذود عن الوطن والمقدسات، وقد سبقت الإشارة إلى تصحيح مفهوم الجهاد

---

[86] القرآن الكريم، البقرة: 208

[87] القرآن الكريم، الأنفال: 61

[88] تفسير المراغي، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، سنة 1365هـ/1946م، 10/ 26

[89] القرآن الكريم، يونس: 25



الذي أسيء فهمه من طرف بعض المسلمين قبل غيرهم، فأباحوا سفك الدماء، والتفريق بين المرء وأهله بدعوى الجهاد في سبيل الله، هذا فضلا عن نظرة خصوم الإسلام له واعتباره حربا ترهب الناس أجمعين.

إن السلام بين الشعوب والمجتمعات إنما يعني مد الجسور وتوطيد العلاقات بينهم، فيتواصلون بدافع من تبادل الخدمات والقدرات المتنوعة، دون بغي أو ظلم أو نهب للخيرات وانتهاك للحرمات، وهو خلاف الاستسلام الذي نها عنه ديننا الحنيف والذي يعني التنازل وقبول العدوان على العباد، والاستسلام للظلم والفساد، قال عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[90].

خاتمة:

بعد هذه الجولة الممتعة التي عشتها مع كتاب الله العزيز، وهو يدلنا على سبل التعايش السلمي، التي تجعل الناس بمختلف أجناسهم وعقائدهم يعيشون في أمن وسلام، ويتفيؤون ظلال الكرامة والاحترام، توصلت إلى النتائج التالية:

- إن مصطلح التعايش يتمحور حول معنى الحياة والمودة والألفة، ونعته بالسلمي وليد ظروف اجتماعية وسياسية حنت فيها البشرية إلى الأمن والسلام.
- للتعايش أهمية كبرى في حياة الأفراد والمجتمعات، ففي ظلاله يمكن إرساء قواعد الأمن والاستقرار، وفي كنفه يسهل التواصل والتعاون، وصرف الجهود إلى العمل المثمر والإنتاج المتنوع، لبناء المجتمع والمساهمة في تقدمه وازدهاره.
- تكريم الإنسان وحفظ حقوقه أساس من أسس التعايش السلمي في القرآن الكريم.
- القرآن الكريم يقر سنة الاختلاف وفي ذلك ترسيخ للتعايش السلمي في الإسلام.
- حرية العقيدة وعدم الإكراه مبدأ راسخ في الاسلام، وأساس من أسس التعايش السلمي في القرآن الكريم.
- بالحوار والتسامح تيسر سبل التعايش السلمي بين الأفراد والمجتمعات.

---

[90] القرآن اكريم، آل عمران: 64




- للتعايش السلمي في القرآن الكريم مظاهر جلية، سواء بين المسلمين في مجتمعهم، أوبينهم وبين غيرهم في المجتمع الإسلامي، أو مع غيرهم من المجتمعات الأخرى.

فهرس المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- البحر المديد في تفسير الكتاب المجيد لأبي العباس بن عجيبة، ت 1224هـ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية، 1423هـ - 2002م.

2- بصائر وأفكار للدكتور فاروق حمادة، الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى سنة 1434هـ -2013م.

3- تاج العروس من جواهر القاموس للمرتضى الزبيدي، دار الهاية للنشر

4- تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر بن عاشور، ت1393هـ، الدار التونسية للنشر، تونس، سنة 1984هـ.

5- التسامح من معالم الوسطية في الإسلام، إصدارات الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة.

6- تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن كثير ت 774هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية سنة 1420هـ - 1999م.

7- تفسير المراغي ت 1371هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى 1365هـ - 1946م.

8- سنن أبي داود بن الأشعث السجستاني ت 275هـ، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الأولى 1419هـ 1998م.



9- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني ت 275هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة 1395هـ 1975م، دار إحياء التراث العربي بيروت.

10- سنن محمد بن عيسى الترمذي ت 279هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، سنة 1395 – 1985م

11- سنن النسائي، أحمد بن شعيب بن علي بن سنان ت 303هـ، دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولي 1420هـ 1999م.

12- السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام ت 213هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية سنة 1375هـ – 1955م.

13- صحيح محمد بن إسماعيل البخاري ت 256هـ، مراجعة وضبط وفهرسة محمد علي القطب وهشام البخاري، الطبعة الخامسة 1420هـ 1999م المكتبة العصرية صيدا بيروت.

14- صحيح مسلم بن الحجاج القرشي النيسابوري ت 261هـ، دار صادر بيروت 1397هـ 1977م.

15- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ت 175هـ، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائى، دار الرشيد للنشر 1400هـ 1980م، وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية.

16- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ت 852هـ، طبعة 1416هـ 1996م، دار الفكر بيروت.

17- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصرى، دار صادر بيروت، الطبعة السادسة 1417هـ 1997م.

18- مسند الإمام أحمد بن حنبل ت 241هـ، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر الطبعة الأولى 1411هـ 1991م.



19- مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي ت 606هـ، دار إحياء التراث العربي- بيروت- الطبعة الثالثة، سنة 1420هـ.

20- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ت 502هـ، دار القلم، الدار الشامية بيروت- دمشق، الطبعة الأولى 1412هـ.

21- مفهوم التعايش في الإسلام للدكتور عباس الجيراري، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو – سنة 1417هـ - 1996م.

22- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة للنشر والتوزيع.

